

## البداية والنهاية

ذلة عظيمة وخدمة وخلعوا زلزاً شديداً وغلقت الأسواق وتيقنو أن لا ناصر لهم إلا الله وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر وكيف به الآن وقد عزم على الهرب ويقولون ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ودخل كثير من الناس إلى البراري والقفار والمغار بأهليهم من الكبار والصغار ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل وسافر ابن جماعة والحريري وابن صدرى وابن منجا وقد سبّقهم بيوتهم إلى مصر وجاءت الأخبار بوصول التتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الأفروم فقووا عزمه على ملاقة العدو واجتمعوا بهمَا أمير العرب فحرضوه على قتال العدو فأجأ بهم بالسمع والطاعة وقويت نياتهم على ذلك وخرج طلب سلار من دمشق إلى ناحية المرج واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة.

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادي الأولى على البريد وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجباوه إلى الخروج وقد غلت الأسعار بدمشق جداً حتى بيع خاروفان بخمسة درهم واشتد الحال ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامة ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم فطابت النفوس لذلك وسكن الناس وعادوا إلى منازلهم من شرحبيل آمنين مستبشرين ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادي الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق وكان مخيماً في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة وهو من أعظم الرياط وتراجع الناس إلى أوطانهم وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لغيبة مدرسها كمال الدين بن الشربishi بالكرك هارباً ثم عاد إليها في رمضان وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولية عوضاً عن جمال الدين الزرعى لغيبته وفي يوم الاثنين قرئت شروط الذمة على أهل الذمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات وأخذوا بالصغر ونودي بذلك في البلد وألزم النصارى بالعمائم الزرقاء واليهود بالصفر والسامرة بالحمر فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجا في نيابة القلعة وأن يركب كل واحد منهما يوماً ويكون الآخر بالقلعة يوماً فامتنع أرجواش من ذلك.

وفي شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد عوضاً عن علاء الدين القونوي بحكم إقامته بالقاهرة وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة عزل شمس الدين بن الحريري عن

قضاء الحنفية بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعده أبيه وذلك باتفاق من